مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد 14،العدد01 – 2023 / ص ص:145- 158

رحلات الحج وطلب العلم من بلاد المغرب الاسلامي إلى الحجاز خلال القرن الحادي عشر الهجري. - أبو سالم العياشي أنموذجا

Pilgrimage trips and seeking knowledge from the Islamic Maghreb to the Hijaz during the eleventh century AH.-Abu Salem Al-Ayashi as a model

طاهر تومي *
المركز الجامعي سي الحواس- بريكة (الجزائر)،toumit350@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2021/04/30 ؛ تاريخ القبول : 2022/03/25 ؛ تاريخ النشر : 2023/01/31

الملخص

تتطرق هذه الدراسة إلى إحدى أهم الشخصيات العلمية المغاربية البارزة، التي عاشت خلال القرن الحادي عشر الهجري، وساهمت في التواصل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلاميين، وهي شخصية أبي سالم العياشي، حيث سنحاول الالمام بالعديد من جوانب حياته، خاصة رحلاته ومؤلفاته القيمة والهامة، التي استلهم الكثير منها من خلال رحلاته من أجل الحج وطلب العلم إلى بلاد الحرمين الشريفين مهبط الوحي ومسرى رسول الله صل الله عليه وسلم، فقد كان المغاربة يَكنّون احتراما لا مثيل له لمكة والمدينة، ويرجع ذلك لقدسية المكانين ورمزيتهما عند المسلمين عامة والمغاربة خاصة.

الكلمات المفتاحية : الحجاز ؛ مكة المكرمة ؛ المدينة ؛ العياشي ؛ طلب العلم.

Abstract

This study deals with one of the most important prominent scientific figures in the Maghreb, who lived during the eleventh century AH, which is the personality of Abu Salem Al-Ayashi. The flag goes to the land of the Two Holy Mosques, the birthplace of revelation and the Mesra of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace. Moroccans used to have unparalleled respect for Mecca and Medina, due to the sanctity and symbolism of the two places for Muslims in general and Moroccans in particular.

Keywords : :Hejaz ; MakkahAl-Mukarramah ; Medina ; Al- Ayashi ; seeking knowledge.

* طاهر تومي

مقدمة :

حاول المغاربة عبر التاريخ الإسلامي الطويل التقرب من مهبط الوحي ومسرى الرسول صل الله عليه وسلم ومستقره مع الصحابة رضوان الله عليهم؛ لما لهذه البلاد من قدسية وبركة وعظمة ومهابة في نفوس السكان المغاربة، الذين كانوا ينظرون بعين الشوق والترقب والتطلع إلى تلك البلاد المباركة، وخير دليل على ذلك اتخاذهم الإمام مالك أحد سادة المدينة المنورة وعلمائها الأفذاذ كقدوة لهم، وذلك (باتباع مذهبه)، (ينظر التعليق رقم 1) ؛ لأنهم كانوا يرون فيه امتدادا لسيرة الرسول صل الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وتعظيما لمكة والمدينة وأهلهما جعل المغاربة من أموالهم نصيبا مفروضا لهم؛ سموها أوقاف الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)، تذهب أرباحها ومداخيلها وخراجها إلى بلاد الحرمين حتى ينتفع أهلها بهذه الأموال، وهذا دليل على التكافل الاجتماعي والفكر التضامني من المغاربة تجاه إخوانهم من المسلمين أهل الحجاز.

من أهم صلات التواصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين رحلات الحج وطلب العلم، فكلما سنحت الفرصة ذهب المغاربة لأداء مناسك الحج والعمرة وفي نفس الوقت يطلبون العلم الشرعي على يد سادتهم فطاحلة العلم من العلماء العاملين الأفذاذ، الذين كانوا لا يدّخِرون جهدا في خدمة طلبة العلم من كل مكان، وطلبة العلم المغاربة خاصة، بل ويقدمونهم على أنفسهم في تصدر مجالس العلم بالحرمين في بعض المرات؛ إذا ما اكتشفوا فيهم النباهة والنبوغ والآداب والأخلاق الفاضلة، وهذا ما حدث خلال القرن 11هـ/17م.

نظرا لكثرة طلاب العلم وركب الحجيج خلال هذا القرن ولتشعب المواضيع حاولنا الاختصار قدر المستطاع؛ لذلك اقتصرنا على إبراز أبي سالم العياشي كأنموذج من طلبة العلم المغاربة، الذين رحلوا إلى بلاد الحرمين لآداء مناسك الحج وطلب العلم.

فإلى أي مدى ساهم أبو سالم العياشي في حركية التواصل العلمي بين المشرق والمغرب الاسلاميين؟ تندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية العديد من الإشكاليات الفرعية، نذكر منها: من هو أبو سالم العياشي؟ وكيف كانت مسيرته العلمية؟ وكيف وصف لنا رحلات الحج وطلب العلم خلال القرن الحادي عشر الهجري؟

ا.1- التعريف بأبي سالم العياشي:

1.1- المولد والنشأة:

ولد أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن سيدي أبي العباس أحمد بن سعيد العياشي المالكي(العياشي، 1997م، ص 51) في شهر شعبان عام 1037هـ / أفريل 1628م بمواطن قبيلة آيت عياش البربرية بإقليم تافلالت جنوب المغرب الأقصى(أغناطيوس، 1957م، ص 731)، وقد نشأ في أسرة علم ووجاهة، حيث تلقى تعليمه في البداية على يد أبيه محمد شيخ الزاوية العياشية، وكذلك على يد نخبة من العلماء في بلاده، أبرزهم الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي، الشيخ محمد بن أبي بكر بن محمد، الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، الشيخ أحمد بن موسى الأبار، الشيخ أحمد بن محمد ميارة، الشيخ أبو بكر بن يوسف السكتاني والشيخ محمد بن محمد ناصر الدرعي، وبعدها انتقل إلى الزاوية الرئيسية بوادي درعة فتتلمذ على يد شيخها سعدي محمد بن ناصر، وقد واصل مسيرة طلب العلم بكل جدٍ وعزمٍ؛ حيث ارتبط بالشيخ الإمام عبد القادر بن علي الفاسي صاحب زاوية القلقليين بفاس القادري ولازمه مدة من الزمن تحصل فيها منه على إجازة علمية (القادري، 1403هـ/1983ص213)، عام (1063هـ-1653م)، ثم انتقل إلى مصر باتجاه بلاد الحرمين، أين التقى

بنخبة من العلماء تتلمذ على أيديهم وأجازوه فيما بعد، نذكر منهم الشيخ أبي الحسن علي الأجهوري، الشيخ أحمد بن محمد الخفاجي أفندي، الشيخ عبد القادر بن جلال الدين المحلي الصديقي، الشيخ عبد الجواد بن إبراهيم الطريني، الشيخ إبراهيم الميموني المصري، الشيخ أحمد بن أحمد القليوبي، الشيخ علي بن علي الشّبراملّسي(العياشي، 1996م، ص ص 119-130) ، ومن الجزائر نذكر الشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي الذي التقى به في أول مرة بمدينة بسكرة ولم يأخذ عنه شيئا، ثم التقاه بمصر وتتلمذ على يده وتحصل منه على (إجازة علمية)، (ينظر التعليق رقم 2) ، ومنهم من تعرّفَ عليه في طريقه إلى الحج كالعالم القسنطيني (عبد الكريم بن الفكون)، (ينظر التعليق رقم 3)، شيخ ركب حجاج قسنطينة ؛ الذي اطلع العياشي على مؤلفاته وتأثر بطريقته في التصوف كما ذكر ذلك في رحلته (سعيدوني، 1999م، 376).

قام أبو سالم العياشي بثلاث رحلات إلى المشرق الإسلامي جاب خلالها العديد من المدن؛ التي نذكر منها : دمياط، الإسكندرية، القاهرة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، (بيت المقدس)، (ينظر التعليق رقم 4) ، غزة والرملة وغيرها من المدن، حيث كان له في كل مدينة نشاط علمي متميز، فقد كان يجالس العلماء ويناظرهم ويستجيزهم ويرتاد خزائن الكتب للمطالعة والنّسخ، وكانت رحلته الأولى في سن مبكرة من حياته؛ وبالضبط في شهر ربيع الأول عام 1059هـ /1649م، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وفي ذلك يقول : (... كان ذلك في شهر ربيع النبوي سنة تسع وخمسين وألف، الشباب إذ ذاك ناعمة أغصانه والهوى شديد على القلب عصيانه وبر الصبا ناعمة أوراقه...)، (العياشي، 1997م، ص52)، أما الرحلة الثانية فقام بها في أواخر ربيع الأول عام 1064هـ /1653م، وفي ذلك يقول: (...فيسر الله ذلك في أواخر ربيع النبوي سنة أربع وستين وألف، وتوجهت على بصيرة، وأعددت لفوائد الرحلة عددا كثيرة، فاتسع المجال في لقاء الرجال ومذاكرة الإخوان في كل أوان، ومحاضرة الأدباء، ومجالسة الظرفاء، وحصلت في تلك الرحلة المباركة ما حصلت لي به مع المرتحلين المشاركة ...)، (العياشي، 1997م، ص 53)، أما الرحلة الثالثة والأخيرة وإن كان قد عزم عليها سنة 1069 هـ / 1658م إلا أنها تأخرت إلى سنة 1072هـ / 1661م لأسباب أمنية، وفي ذلك يقول: (... فلما جاء الوقت المذكور ورجوت حصول السعي المشكور وذلك في سنة تسع وستين دبت في مغربنا عقارب الفتن وهاجت بين الخاصة والعامة مضمرات (الإحن)، (ينظر التعليق رقم 5)، فانقطعت السبل أو كادت (وماجت الأرض)، (ينظر التعليق رقم 6)، بأهلها ومادت، (ينظر التعليق رقم 7) ... إلى أن كان أوائل سنة اثنتين وسبعين...)، (العياشي، 1997م، 54) .

اكتسب العياشي ثقافة دينية وأدبية عميقة وواسعة، لذلك برز في علوم الحديث والفقه والأدب واللغة العربية، كما تأثر بالمناخ الفكري والتيارات الثقافية لعصره، فمال إلى الزهد والتصوف الذي جمع فيه كما قال بين أسلوب المشرق وطريقة المغرب، وقد اعتبر في وسطه بالمغرب من المطلعين على الحديث والعارفين باللغة والشعر، ومن المتصوفين المعْرضين عن الدنيا، فاكتسب احترام العامة وتقدير الخاصة(سعيدوني، 1999م، 377) ، إلى أن وافته المنية عن سن لا تتجاوز الثالثة والخمسين من عمره، ضحى يوم الجمعة الثامن عشر ذي القعدة سنة 1090هـ / 1679م متأثرا بوباء الطاعون الذي اجتاح المغرب الأقصى حينذاك (القادري، 1977م، 254).

2.ا- أهم شيوخ أبي سالم العياشي بالحجاز:

1.2- أهم شيوخ أبي سالم العياشي بالمدينة المنورة:

تلقى أبو سالم العياشي العلم بالمدينة المنورة على يد نخبة من العلماء البارزين؛ من أشهرهم أبي العباس أحمد بن عبد النبي القشاشي؛ الذي كان أحد أقطاب التصوف، وقد أسس زاوية بالمدينة المنورة، تتلمذ على يد أعلام عصره كالشيخ أحمد بن علي الشناوي؛ الذي ألّف العديد من الكتب التي نذكر منها: شرح الحكم العطائية، بستان العابدين، الإفادة الرحمانية على الكملات الإلهية، وديوان في الشعر، توفي سنة 1071هـ/ 1661م (العياشي، 1997م، ص ص 323، 370، 407)، والشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري الشافعي(العياشي، 1996م، ص 140) ؛ الذي أخذ عنه العياشي إجازة علمية شهد له فيها بالخلق الحسن والتبحر في العلم، (ينظر التعليق رقم 8).

2.2- أهم شيوخ أبي سالم العياشي بمكة المكرمة:

تلقى أبو سالم العياشي العلم على أيدي نخبة من العلماء الكبار بمكة المكرمة؛ نذكر منهم الشيخ تاج الدين المكي الأنصاري؛ أديب وخطيب، أخذ عن خالد بن أحمد المالكي الجعفري، تولى القضاء بمكة، من مؤلفاته: شرح قصيدة عفيف الدين التلمساني، (ينظر التعليق رقم 9) ، رسالة في الرد على الأسئلة الواردة من بلاد جاوا، (ينظر التعليق رقم 10) فيما يتعلق بالوحدانية، ديوان شعر، وكذلك نذكر أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الدبيع اليمني الزبيدي؛ فقيه ومحدث، توفي سنة 1076هـ/ 1665م، لقيه العياشي بمكة المكرمة سنة 1064هـ / 1653م، وقرأ عليه "بقباء " المقدمة الجزرية في التوحيد وجزئا من صحيح البخاري، والشيخ جمال الدين الهندي النقشبندي، لقيه بمكة ثم بالمدينة برباط عبد القادر سنة 1073هـ / 1662م، ودرس عليه بعض المتون، توفي سنة 1076هـ/1665م (العياشي، 1997م، ص ص 205، 215، 219) ، والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي الذي درس عنه صحيح البخاري وكتاب الإيمان، وكتاب الحديث المسلسل بالأولية، وعشاريات ابن حجر، بالإضافة إلى ذلك أخذ عنه إجازة علمية، والشيخ زين العابدين الحسيني الطبري شيخ الحرم المكي، الشيخ علي بن عبد القادر الحسيني الطبري، والشيخ علي بن أحمد اليمني الشافعي (العياشي، 1996م، ص ص 135، 140) .

3.1- مؤلفاته :

كتب أبو سالم العياشي العديد من المؤلفات في مواضيع مختلفة كالتاريخ والنحو والتصوف والفقه والحديث وغيرها، نذكر منها:

- إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء أو رسالة تحفة الأخلاء كما ذكر ذلك بنفسه (العياشي، 1997م، ص 149)، وقد حققه، محمد الزاهي، وطبع بدار الغرب الإسلامي، ببيروت، لبنان.

- الرحلة العياشية، تتكون من جزئين، وقد حققه محمد حجي؛ وتُعرف أيضا " بماء الموائد" ويعتبر هذا الكتاب من أهم ما ألّف أبو سالم العياشي، فقد دَوّنَ فيها العديد من المواضيع؛ كاستعداد ركب الحجيج ووصف المسالك والمفازات والمدن وذكر المخاطر التي تعرض لها رفقة مرافقيه والوقائع التي عاشها أو سمع عنها وذكر الشيوخ الذين درس عندهم أو التقى بهم والمراكز العلمية التي درس بها أو زارها بالإضافة إلى العديد من المواضيع الأخرى، وقد قال عنها القادري: (...جمة الفوائد عذبة الموارد، غزيرة النبع، جليلة القدر، جامعة من المسائل العلمية المتنوعة لما يفوت الحصر، سلسة المساق والعبارة، مليحة التصريح والإشارة...)، (القادري، 1977م، ص 254)

- (تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية) أو إظهار المنة على المبشرين بالجنة (سعيدزني، 1999م، ص 377).
- نفثة المصدور إلى الإخوان والصدور (العياشي، 1997م، ص 147).
- الفهرسة؛ وهي أول ما ألف العياشي، وعنوانها ((مسالك الهداية إلى معالم الرواية))، كما ورد عنوانها في بعض الكتب الأخرى باسم: (العجالة الموفية بأسانيد الفقهاء والمحدثين والصوفية) وكذلك (اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر)، (القادري، 1977م، ص 255).
- أجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل؛ وهو شرح لمختصر خليل المالكي المتوفي سنة 767هـ/1356م.
- تحرير كلام القوم في أمر النبي عليه السلام في النوم.
- رفع الحجْر عن الاقتداء بإمام الحِجْر (العياشي، 1997م، ص 254).
- سوق العروس وأنس النفوس.
- إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب.
- القول المحكم في عقود الأصم الأبكم.
- له رسالة في النحو بعنوان " لو" الشرطية.
- المغريات في إصلاح الوتريات.
- العلاوة فيمن ركع محل سجود التلاوة.
- الكشف والبيان في مسألة الكسب والايقان.
- الحكم بالعدل والانصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سلجماسة من خلاف في تكفير من أقر بوحدانية الله وجهل بعض ماله من صفات، (الأخضر، 1997م، ص91).

4.I- وصف أبي سالم العياشي لرحلات الحج وطلب العلم :

وصَفَ لنا العياشي طريق سفره إلى بلاد الحرمين ((الحجاز)) وكل تفاصيل تلك الرحلات؛ ابتداءً بالتحضير وتجهيز المؤن والرواحل وغيرها مما يحتاج إليه المسافر وبتوديع الأهل والأحباب؛ لأن القصد بعيد والسفر طويل ولا يدري المسافر ما يخفيه له القدر، وفي هذا السياق ينقل لنا العياشي نصا معبرا ومؤثرا للحظات فراق الأهل والأحبة والأوطان ،وفي ذلك يقول في رحلته: (...وودعنا هنالك كثيرا من الأصحاب، وجملة من الأولاد والأحباب، في موقف مدت الأيدي فيه إلى الله ضارعة، وجأرت الألسن بالدعاء بقلوب خاشعة، وتتابعت الزفرات وأثارتها الحسرات وغبط المقيم الذاهب، وشكر الظاعن الواهب، ومزجنا بحلاوة المتوقع مرارة الواقع، وقد يستشفى من بعض الأدواء باحتساء السم النافع، وحين فارقت الولد، والغرام فيه خصم ألد، سكبت من الدموع سجلا وقلت أودعك الله بخلا، وفي ذلك أنشدت:

أبُنيّ إني ما تَركْتكَ عن قِلى ... مني وأُخْتك ما قَلَلْتُ وِصَالها.
لكما بقلبي رَحْمَةً ومودةً ... بنياطِ قَلْبي قد عُقِدَتْ حِبَالها.
لكن منْ طلبي العزيز تلذُ لي ... ترْكي العزيزَ بهاءه وجمالها.
إني لَيُذَكِّروني بها دَاعِي الْهوى ... فأقولُ مالي إذا يَئِسْتُ ومالها.
قد ذُقْتُ بُعْدكُما وبُعْدي ذُقْتُما ... نَارَ ٱلفراقِ وما أمْضِ وبَالها (العياشي، 1997م، ص ص 67،68).

اختلف انطلاق ركب الحجيج وطلب العلم في بلاد المغرب من بلد إلى لآخر ، فكان في المغرب الأقصى الملتقى بسجلماسة، أما في الجزائر فكان ينطلق من توات، هذا بالنسبة لسكان الجنوب، أما في بقية المدن الأخرى فكل حسب موقعه، لكن ما هو متعارف عليه أن ملتقى الحجاج المغاربة كلهم كان طرابلس الغرب ومنها إلى مصر ثم إلى الحجاز، وقد كان مسار الرحلات على النحو التالي : من المغرب الأقصى جنوبا؛ الملتقى سجلماسة باتجاه الأغواط ثم بسكرة بالجنوب الجزائري ثم نفزاوة طرابلس الغرب ثم القاهرة والسويس وأرض التيه ثم مغائر شعيب ثم العقبة السوداء ثم ينبع ثم جبل الرمل ثم رابغ ثم عقبة السكر ثم مر الظهران ثم التنعيم ثم مكة المكرمة ثم المدينة المنورة، (ينظر التعليق رقم 11).

حاول أبو سالم العياشي أن ينقل لنا جميع التفاصيل الخاصة بهذه الرحلات الحجازية، كوصف الأقاليم والأماكن التي مرّ بها والأودية والشعاب المخيفة، انطلاقا من بلاده المغرب الأقصى مرورا بالجنوب الجزائري ثم طرابلس الغرب ومن ثم ركوب البحر، وقد وصف كل مدينة دخلها وتحدث عن أهلها وعاداتهم وتقاليدهم في المواسم والأعياد الدينية، وذكر ما شاع خلال هذه الفترة من تاريخ المسلمين مغربا ومشرقا من بدع ومنكرات، التي انتشرت بكثرة في ذلك الوقت سواء بين الرحالة أنفسهم أو في المدن التي مر بها، ومن ذلك قوله في رحلته: (...ومنها محل في الجبل المشرف على المحصب، على يمين الذاهب من مكة إلى منى، يزعم أهل مكة أن فيه قبر عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما، فيخرجون إليه في إحدى ليالي ذي القعدة ـ أظنها الثالثة عشر ـ رجالا كبارا وصغارا، فيبيتون هناك عامة ليلتهم، ولم أخرج معهم تلك الليلة، إذ لا أعلم أصلا لذلك، وسألت أهل العلم بمكة فأخبروني أنهم لا يعلمون لذلك أصلا...)، (العياشي، 1997م، ص 162) .

من خلال ما سبق نستنتج مايلي:

-انتشار البدع والخرافات ببلاد الحجاز خلال تلك الفترة.

-يعتبر العياشي من العلماء الذين حافظوا على عقيدتهم السليمة والابتعاد عن الدجل والخرافات، والعادات السيئة التي انتشرت مشرقا ومغربا.

-وقوف علماء مكة بالمرصاد لهذه الخرافات، حيث لم يجاروا الناس في بدعهم وضلالاتهم.

-استفتاء أبو سالم العياشي لأهل العلم بمكة المكرمة دليلا على تمسكه بالحق واتباع منهج السلف، (ينظر التعليق رقم 12).

وأخيرا يصف لنا العياشي كيفية الوصول إلى الحجاز وزيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج، ثم طلب العلم بهذه البلاد المباركة على يد شيوخ أكابر من المالكية، الشافعية والحنابلة والحنفية وغيرهم، حيث نقل لنا لحظات الوصول إلى مكة والمدينة بقوله: (...فذهبنا نؤم البيت الحرام، واثقين بنيل كل مرام، وجئنا إلى المسجد وحان الغروب، وكادت تطير من الفرح القلوب، فدخلنا فرحين مستبشرين من باب السلام وشاهدنا البيت العتيق، الذي تُزيح أنواره كل ظلام، وتولت أستاره وأشرقت أنواره، وقد شمر البرقع عن أسافله، حتى لا يكاد الطائف يناله بأنامله، يفعلون ذلك به من أول ما تقدم الوفود ولا يطلقون الأستار حتى تعود... ومما قلته في ذلك اليوم أيضا ونحن سائرون وبأجنحة الشوق طائرون والناس بين قائل: لا نبيت الليلة إلا بالمدينة وقائل: بل نبيت وغدا ندخلها سكينة، وهوى من القائل الأول وأعرضت عن الثاني وما تأول، فأنشدت مرتجلا، وكنت من المبيت

دونها وجلا ...)، (العياشي، 1997م، ص ص 316، 369) ، وفي غمرات الشوق والحنين والترقب أنشد العياشي يقول:

هَنيئاً لقلْبِ هذه دَارُ (سيدي)، (ينظر التعليق رقم 13) دَنَتْ فَدَنَتْ كُل المَسَرّةِ مِنْ يَدِ.

وقد كُنْتُ أقصى الْغربِ أطلبُ وَقْفَةً من الله قبل الموتِ في خيْرِ مَشْهَدِ.

وأرْجُو وِصَالاً مُذْ سِنِينَ كثيرَة ٍ فها أنا ذا أرْجُوهُ في اليومِ أو غَدِ.

جَديرٌ بمن قَدْ نالَ ما نِلْتُ أنْ ترى له جَلْسَةٌ من فوْقِ هامَةِ (فَرْقَدِ)، (ينظر التعليق رقم 14).

لأعلامِ دارِ المصطفى هذهِ التي نُشاهدها من رَبْوةٍ فوْقَ فَرْقَدِ.

كأنّ ثَرَاها مِسْكَ دارين والحصى فَرَائِدُ دُرٍ في قِلادَةِ (عَسجَدِ)، (ينظر التعليق رقم 15).

إذا عَايَنَتْ أعْلَامَ طَيْبَةَ مُقْلَتي تَرَنّحَ جسمي كاهْتِزَازِ الْمُهَنَدِ، (العياشي، 1997م، ص ص 316، 369).

II.1- مساهمات أبو سالم العياشي في التواصل العلمي والثقافي بين المشرق والمغرب الإسلاميين:

يمكننا إبراز مجالات التواصل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلاميين من خلال مساهمة أبي سالم العياشي خاصة وطلبة العلم المغاربة عامة في الحركية العلمية التي أحدثوها خلال القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الهجري وذلك تأثرا وتأثيرا، ومن أبرز هذه المجالات نذكر:

1.1- الإجازات العلمية:

حرص أبو سالم العياشي على الحصول على إجازات علمية من العلماء بالحجاز، لأنهم يعطون صبغة شرعية فريدة من نوعها قل نظيرها في ذلك الوقت، خاصة وأن المغاربة يقدسون مكة والمدينة، ويجلون علمائهما، الذين اكتسبوا مهابة ومكانة علمية متميزة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ونستشف ذلك من خلال ما نقله لنا العياشي حولهم، حيث قال: (...ولما أنخْت رحلي بطيبة المطيبة، الحبيبة المحببة ،العظيمة المعظمة، بأعظم عظيم ضم ثراها ،أعظمه أصدق من أسندت له الأخبار، وخير مختار من الأخيار، أمجد ماجد مُمَجّد، سيدنا ومولانا محمد صل الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأهله وما سما قدر من تمسّك بأسبابه وحبله، تثبت استدعاء أستجير فيه من المدينة من الأجلة ممن له علو إسناد واختصاص بحرية في بابها مستقلة وضمنته من الأسماء من أشركته معي في الطلب جملة، وحملت نفسي من ذلك ما لم تطق لولا الوداد حمله، فلما ذهبت إلى مكة ذات الحرمين الآمنين والمناسك التي تؤدى فيها شعائر رب العالمين كتبت استدعاء آخر مثل الأول استجزت فيه من عليهم من هذا الأمر المعول...)، (العياشي، 1996م، ص86)، ثم يواصل العياشي مدح علماء المدينة وفضلهم على سائر الأقطار بقوله: (...سادتنا العلماء الأعلام وشيوخ مشايخ الإسلام، وهداة الساري في دياجي الظلام، وفرسان البلاغة في ميادين الكلام، وبناة المجد وأساة الكلام، حملة حديث النبي عليه السلام ونقلته من سرات الأنام، ومستخرجو دُرر الفروع والأصول من أصداف المنقول والمعقول، وناشروا رايات الشرع المحمدي بأكف الأخذ والإلقاء السرمدي نضَّر الله وجوهكم وأدام لنفع العباد وجودكم وأنا في دياجي الجهل بدرّكم وشرح لإلقاء العلوم صدوركم، لازالت نسمات السلام والرحمة والبركة تغشى أنديتكم بأطيب ثناء في سكون وحركة ثم تتعكف بعاطف إحسانكم الجميل وعوارف جودكم (الأثيل)، (ينظر التعليق رقم 16) على باسط كف الافتقار ومرتدي ثوبيْ الذل والاحتقار، صرف وجه آماله إليكم ومونخ ركائب آماله لديكم، بعدما سير بها الأغوار والنجود، وأظنها بالتأويب والهجود، إلى أن جاءت له يد الزمان بالمنى وقلَّما تجود...)، (العياشي، 1996م، ص86).

ما نلاحظه من خلال ما نقله لنا العياشي هو تقديره وتوقيره لعلماء الحجاز، وحرصه على الأخذ منهم ونيل تزكيتهم، لأنه دائم المدح لهم والثناء عليهم في كتبه، ومن ذلك ما نقله في كتابه الرحلة، حيث يقول: (...فممن لقيته بمكة عالمها وابن علمائها مفتي الشافعية وإمام المقام شيخنا زين العابدين الطبري الطبري الحسيني...وممن انتفعت بلقائه، وكان معظم استفادتي بمكة من تلقائه، وجل مروياته من سماعه وإلقائه شيخنا العلامة، المحقق الفهامة، نادرة الزمان، وإمام ظَلَمَةُ الحرمان، خائض بحار العلوم، ومطير مكتومها من جنس المعلوم، المرقى من الرواية على أعلى ذروته بعدما جلس من الرواية على أرفع منصتها، الحائز من علم الباطن أوفر نصيب بعد مرامي في العلم الظاهر بسهم مصيب، شيخنا ومفيدنا وهادينا ومرشدنا، سيدي أبو مهدي عيسى بن مهدي الثعالبي الجعفري رضي الله عنه، أوحد عصره في حسن الأخلاق، وغريب الشكل في دهره على الإطلاق، قائم بحق الله في نفسه وفي معاملة أبناء جنسه، لا تمل محادثته ولا تسأم مجالسته إن حادثته في أخبار الدنيا أمتعك، وفي أحوال الآخرة نفعك ...)، (العياشي، 1997م، ص ص 181، 182) .

هكذا هو ديدن العلماء وطلبة العلم المغاربة في التكلم عن علماء الحرمين الشريفين خلال هذا القرن، وقد يطول المقال في نقل كل ما جادت به قرائح هؤلاء، لذلك نقتصر على هذه النماذج للتدليل على ما كان عليه سلفنا من توقير واحترام للعلماء وأخذ الإجازات العلمية عنهم ونيل تزكيتهم.

2.1- إلقاء الدروس بمكة والمدينة:

كان طلبة العلم المغاربة قبل ذهابهم إلى مكة والمدينة للاستزادة العلمية، يطلبون العلم ببلادهم على يد مشايخ وعلماء سواء بالمغرب الأقصى أو بالجزائر أو تونس أو حتى بالسودان وطرابلس الغرب، وعندما يصلون إلى مرحلة معينة من التحصيل العلمي تتوق أنفسهم إلى أرض الحجاز؛ سواء لطلب العلم أو لأداء مناسك الحج والعمرة، ولذلك عندما يُختبرون على أيدي العلماء في مجال اختصاصهم يُثبتون جدارتهم، مما يؤهلهم لإلقاء الدروس والخطب في جميع الاختصاصات الشرعية، و ويؤكد هذه الحقيقة أبو سالم العياشي الذي ساهم في إلقاء الدروس والمحاضرات العلمية، حيث قال: (...ولما كان أول شهر صفر ألجأني أصحابنا المالكية بالمدينة المنورة أن أقرأ لهم مختصر خليل في فقه مالك، فتعللت لهم بقلة الممارسة له وشغل البال وعدم ما يستعين به الانسان من الشروح والحواشي، فلم يجد تعليلي لديهم، بل زادهم إغراءً، فابتدأنا قراءته في مؤخرة المسجد بالجانب الغربي منه، وكانت قراءتنا من بعد صلاة العصر إلى قرب المغرب، فقرأنا لهم قراءة لابأس بها (زعموا أنهم لم يروا مثلها منذ أزمان)، (ينظر التعليق رقم 17)، ولا بدْع في ذلك فإن البلد شاغر من محققي العلوم سيما من فقه مالك، (فلم نر هناك من يحقق أدني مسائله)، (ينظر التعليق رقم 18) ...ومما أقرأته بالمدينة أيضا مقدمات الشيخ السنوسي ونقاية السيوطي كلفني جماعة من السودانيين قراءتها...وأقرأت أيضا القرطبية في فقه مالك، وأقرأت أيضا نحو ربع الألفية، وبعض مختصر العصامي في الاستعارة...ولما استهل شهر ربيع الأول طلب مني أصحابنا أيضا قراءة (الشمائل)، (ينظر التعليق رقم 19)، فشرعنا فيها بعد صلاة الصبح بباب النساء وعاق المرض عن ختمها إلى جمادى الثانية...)، ثم قال في موضع آخر: (...ومن عادة المدرسين بالمدينة أيضا تعطيل القراءة بالمكاتب والتدريس يوم الثلاثاء والجمعة ويقرؤون فيما سوى ذلك من الأيام خلاف عادتنا بالمغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة، فكنت يوم إقرائي بالحرم الشريف يكلفوني القراءة يوم الخميس فيشق ذلك عليّ لكونه خلاف المعتاد لدينا...)، (العياشي، 1997، ص ص 427، 441، 450). .

3.1- نقل الكتب المخطوطة إلى بلاد المغرب:

حاول طلاب العلم المغاربة نقل المخطوطات العلمية من الحجاز بصفة خاصة والمشرق بصفة عامة، للاستفادة منها ونقل أصول المذهب المالكي على حقيقته إلى المغاربة، خاصة وأن كل مؤلفات الإمام مالك وتلامذته موجودة بالحجاز، وفي هذا الخصوص نورد نصا للعياشي يوضح لنا تطلع المغاربة لطلب العلم، حيث قال: (...ولنذكر بعض ما قيدته من كتب غريبة عثرت عليها، فمنها: رحلة الشيخ المحدث محمد بن رشيد السبتي رأيت منها عدة أجزاء بمكة عند شيخنا أبي مهدي وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق...)، (، ثم يذكر في موضع آخر استعارته لكتاب شرح المنادي لكتاب الشمائل النبوية والخصال المصطفاوية، إذ قال: (...واستعرت من شيخنا الشيخ ياسين شرح المنادي على الشمائل للنظر فيه أيام القراءة، فأعاره لي وهو أحسن ما رأيت من الشروح...)، (العياشي، 1997م، ص ص 223، 328) ، هذا بالإضافة إلى عديد الكتب التي اقتناها وجعلها وقفا على المكتبة الحمزاوية بالزاوية العياشية، والتي نذكر منها كتاب تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، وصحيح البخاري بأجزائه الخمسة، وقد كان العياشي يقوم بنسخ الكتب التي لا يستطيع شرائها، حيث قام بنسخ الجزئين الثاني والثالث من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وأحد شروح المحكم لأبن عطاء الله السكندري، (الأخضر، 1997م، ص 94).

4.1- المساهمة في انعقاد المجالس العلمية والمجادلات الفقهية:

بما أن مكة والمدينة يقصدهما الحجاج من كل الطوائف والملل والنحل (والمذاهب السنية الأربعة)، (ينظر التعليق رقم 20) (والمذاهب غير السنة)، (ينظر التعليق رقم 21)، كانت تجري العديد من المناظرات والمجادلات العلمية؛ الهادفة أساسا لإظهار الحق وتبيين رأي كل مذهب سواء في العقيدة أو في المسائل الفقهية والمذهبية، وهذا ما أشار إليه العياشي بقوله: (...وقد نزلت ونحن بمكة (نازلة فقهية)، (ينظر التعليق رقم 22) وهي أن إمام ا(لحنفية)، (ينظر التعليق رقم 23) هو الذي يتقدم في صلاة المغرب و يصلي معه غالب الناس، فلما قرب الموسم تقدم يصلي في الحجر وصلى معه الناس على عادتهم ، فجرى كلام في غير ذلك بين الطائفة المالكية في صحة الصلاة وراءه من عدمها، فكتبت في ذلك رسالة أوضحت فيها الحق إن شاء الله ...)، (العياشي، 1997م، ص 254) ، والرسالة هي رفع الحَجْر عن الاقتداء بإمام الحِجْرِ.

وقد جادل أبو سالم العياشي يوما أحد المعتزلة في مسائل دينية وفلسفية، تتعلق بالاسم والمسمى والعلم ومسألة إثبات الصفات، فكان المعتزلي يسأل والعياشي يجب، ولكنهما لم يتفقا على رأي، وفي ذلك يقول: (...فكادت أصواتنا أن ترتفع حتى اجتمع إلينا ناس ممن بالمسجد...)، (العياشي، 1997م، ص 254)، وفي ارتفاع الأصوات دليل على شدة المناقشات وتمسك كل طرف بآرائه الفقهية والعقدية.

5.1- نشر فكر التسامح المذهبي بين أهل السنة:

حاول طلبة العلم المغاربة عدم إثارة النعرات المذهبية بين أهل السنة، خاصة وأن الاختلافات كانت فقهية ولم تكن عقدية، مثلما كان عليه الحال بينهم وبين المعتزلة والشيعة الروافض وغيرهم، وقد أورد لنا العياشي نصا ضرب به أروع الأمثلة في الوسطية والاعتدال ودرء الخلافات المذهبية والتعصب، بعد أن حدث نوعا من الهرج بسبب اختلافات بسيطة بين الشافعية والمالكية، وقد تصدى بنفسه لهذه المشاكل ورفض تضخيم الأمور حتى لا تؤثر في علاقة الأخوة بين أهل السنة، وفي ذلك قال: (...ربما صلى بعض المالكية في بعض الأوقات بالناس لتعذر

غيره ممن هو أهل أو إنابته له فيصلي على هيئة الشافعي من الابتداء بالبسملة وقبض اليدين ورفعهما للركوع والرفع منه، وفي أول كل ركعة وتثنية التسليم جهرا أو تأخير القنوت عن الركوع والجهر به، وكان بعض المالكية ينكر ذلك على فاعله....وكنت أنا أخفف الأمر في ذلك فأقول: قد عُلِمَ من الشارع التحذير من الأمور التي توقع في المخالفة وتوغر الصدور خصوصا في أمور الدين...خصوصا إن كان ذلك يؤدي إلى التخليط على المصلين فإن كثيرا من المأمونين عوام لا يفرقون بين مقتضيات المذاهب ولا يعرفون محلَّ الخلاف...)، (العياشي، 1997م، ص ص 241، 242).

III - خاتمة

من خلال ما سبق نستخلص العديد من النتائج التي نوردها على شكل عناصر تعميما للفائدة، وتبسيطا للوقائع التاريخية التي تطرقنا إليها:

- لا يمكننا فصل رحلات طلب العلم عن رحلات الحج والعمرة باتجاه بيت الله الحرام ومدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا في الحقيقة لا ينطبق على عامة المغاربة؛ بل كان خاصا بأهل العلم منهم فقط لأن كل واحد من هؤلاء كان يعقد نية الحج وفي نفس الوقت نية طلب العلم.

- أعطى أبو سالم العياشي وكل العلماء المغاربة، مكانة مرموقة للمدينة المنورة ومكة المكرمة؛ لأنهما مهبط الوحي ومستقر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، لذلك كانوا يعتبرونهما مكانا مقدسا يجب التوجه إليه وزيارته والتبرك به.

- عرف الحجاز خلال القرن 11ه /17م بروز العديد من العلماء في جميع مجالات الشريعة، لذلك تاقت نفوس طلبة العلم المغاربة ومن بينهم أبي سالم العياشي للأخذ عنهم والتقرب إليهم ونيل الإجازات العلمية والتزكية من عندهم.

- حاول أبو سالم العياشي وجميع طلبة العلم المغاربة التوجه رأسا إلى الحجاز لأنه مصدر المذهب المالكي لصاحبه الإمام مالك بن أنس؛ الذي عرف عنه اتباعه اللامشروط لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار علماء الصحابة رضوان الله عليهم.

- استطاع أبو سالم العياشي النهل من منبع العلم الشرعي بالمدينة ومكة على يد أكابر العلماء خلال القرن 11ه/ 17م.

- حدث إخصاب ثقافي بين بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين، تمثل في ظهور حواضر علمية متكاملة فيما بينها، بالرغم من البعد الجغرافي، حيث يذهب العلماء المغاربة للحواضر المشرقية خاصة مكة والمدينة للاستزادة، ثم يعودون لبلادهم من أجل نشر العلم المتحصل عليه بين طلابهم وعامة الناس، وكانت هذه الحواضر على شكل خط منكسر ابتداء من المغرب الإسلامي نحو المشرق الاسلامي على النحو التالي:

- جامع القرويين بفاس (المغرب الأقصى)، جامع القيروان(تونس)، جامع الأزهر (مصر)، مكة والمدينة (الحجاز)، دمشق(سوريا)، القدس(فلسطين).

- كان طلبة العلم المغاربة يعتقدون أن علمهم منقوصا ما لم يكن مشفوعا بزيارة طلب العلم إلى الحجاز وأخذ الإجازات العلمية من علمائه.

- لم تثن بُعد المسافة ومخاطر الطرق من عزيمة أبي سالم العياشي عن زيارة بيت الله الحرام ومدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلب العلم.

-ربط المغاربة بين الحرمين الشريفين والقدس الشريف، حيث لا تكاد تخلو رحلة من رحلاتهم من الذهاب إلى القدس الشريف لأنها أولى القبلتين وثالث الحرمين، وبذلك حافظوا على الوحدة الروحية والمعنوية للأماكن المقدسة الثلاث.

- الشروحات والتعليقات:

1-ينسب المذهب الى مؤسسه الإمام مالك بن أنس، الذي اختلف العلماء في سنة ميلاده، فقيل ولد سنة 90هـ، قيل سنة 93هـ، قيل سنة 95هـ، قيل سنة96هـ، وقيل سنة 98هـ، إلا أن جل المؤرخين اتفقوا على أن تاريخ ميلاده كان عام 93هـ، وقد روي عنه أنه قال "ولدت سنة ثلاث و تسعين "، وقد ذكر المؤرخون والعلماء أن أمه حملت به ثلاثة سنين، وهي مَنْقَبَةٌ وعجيبة من عجائب مالك التي خصه الله بها، كما كانت حياته كلها مناقب، وقد لد بالمدينة المنورة، من أبوين عربيين، فوالده أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي من قبيلة ذي أصبح اليمنية، وأمه العالية بنت شريك الأزدي، نسبة الى قبيلة الأزد، وكان جده من كبار التابعين، وقد روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعائشة أم المؤمنين "رضي الله عنهم أجمعين"، وقد نشأ الإمام مالك في بيت علم ومجد ورواية الحديث، فجده مالك بن أبي عامر كان من كبار التابعين وعلمائهم، وترعرع في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار هجرته، وموطن نواة الدولة الإسلامية الأولى ومهبط الوحي ومبعث الشرع والنور، ومعقد الحكم الإسلامي الأول، ودار كبار علماء الصحابة، كأبي بكر، عمر، عثمان، علي، ابن عمر، ابن عباس، وعائشة ... رضي الله عنهم أجمعين، حفظ القرآن الكريم، ثم اتجه لطلب العلم، فقد شجعته أمه على ذلك، وكانت تقول له: (اذهب الى ربيعة فتعلم علمه قبل أدبه)، وهو ربيعة الرأي بن عبد الرحمان، وأخذ أيضا عن يحي بن سعيد، إلا أن العالم الذي أثّر فيه كثيرا هو ابن هرمز الذي لازمه سبع سنين أو أكثر، وأخذ أيضا عن ابن شهاب الزهري، ونافع ...وغيرهم، وقد جاء في الروايات أن شيوخه جاوزوا تسعمائة شيخ؛ ثلاثمائة من علماء المدينة، وأكثر من ستمائة من تابعي التابعين... للاستزادة، ينظر(أبو زهرة، 1952، ص ص 30،25)، (أبو زهرة، د.س، ص ص 366 -368)، (رستم، 2005، ص 150).

2-للاطلاع على النص الكامل للإجازة العلمية التي منحها أبو مهدي عيسى الثعالبي لأبي سالم العياشي ينظر؛ (العياشي، 1999، ص ص168-173).

3-هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحي بن الفكون التميمي من قبائل تميم العربية، ولد عام 955هـ/1580م بقسنطينة، كان والده فقيها وعالما صوفيا وخطيبا للجامع الأعظم، وأمه عربية من النسل الشريف، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ثم بدأ في طلب العلم الشرعي على يد خاله أبي القاسم بن عيسى الملقب بثلجون والشيخ التواتي المرادي والشيخ محمد الفاسي والشيخ أبو الربيع سليمان بن أحمد القشي والشيخ أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي والشيخ أبو فارس عبد العزيز النفاتي ومن مصر على الشيخ سالم السنهوري ، تولى إمامة الناس منذ صغره بالجامع الأعظم، حيث كان والده يشجعه على ذلك، اشتهر بكتابه منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية ...للاستزادة ينظر؛ (بو خلوة، 2008-2009م، ص ص51-57).

4- وصف لنا أبو سالم العياشي بيت المقدس وصفا دقيقا حيث قال: (...وهذا المسجد المقدس آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار، فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون عظيمة، تحت كل شجرة مصطبة مبنية من الحجر المنحوت على قدر ما تُظله أغصان الشجرة، فيه شكل محراب يجلس الناس تحتها للصلاة والقراءة ويأوي إليه الفقراء المتجردون...وأما الأروقة التي في داخله والبيوت التي في خارجه فشيء كثير، وفي وسط المسجد قبة الصخرة، ماثلة في الهواء مُثَمّنَةُ الشكل لها أربعة أبواب، دور القبة كلها نحو من خمسمائة قدم...وهي في غاية الارتفاع وإتقان البناء، وأبوابها في غاية العظمة و والاتقان...والصخرة لونها يميل إلى الزرقة في غاية الصلابة...وغلظها نحو من ذراعين ...) للاستزادة ينظر؛ (ابن عثمان، 1418هـ/1997م، ص22).

5-الحقد والكراهية.

6-تزلزلت الأرض وتحركت بقوة.

7-اضطربت الأرض وكثر فيها الهرج والمرج.
8-للاطلاع على نص الاجازة التي منحها الشيخ لأبي سلام العياشي ينظر؛ (العياشي، 1999م، ص ص 14-17).
9- هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الشيخ الأديب البارع عفيف الدين التلمساني، قال عنه قطب الدين اليونيني: كان حسن العشرة كريم الأخلاق وله حرمة ووجاهة خدم في عدة جهات وقال عنه الجزري في تاريخه أنه عمل في بلاد الروم أربعين خلوة يخرج من واحدة يدخل في أخرى وله في كل عام تصنيف...توفي الشيخ عفيف التلمساني سنة تسعين وستمائة 690هـ، بدمشق ودفن بمقابر الصوفية ...للاستزادة ينظر؛ (الحفناوي، 1324هـ/1906م، ص ص253، 251).
10-جاوا؛ هي جزيرة تابعة لأندونيسيا تقع في شرق آسيا تحدها من الجهة الغربية جزيرة سومطرة ومضيق سوندا، ومن الجهة الشرقية محافظة بالي ومضيق بالي ومضيق بادورا، ومن الجهة الشمالية بخيرة جاوا وجزيرة بورنيو، وماليزيا وبروناي ومن الجهة لجنوبية جزيرة عيد الميلاد والمحيط الهادي. تقدر مساحتها بحوالي 12795كلم مربع.
11-هذا المسار ذكره أبو سالم العياشي في رحلته وهو المتبع غالبا من طرف طلبة العلم والحجاج المغاربة، خاصة بعد نقطة الالتقاء بطرابلس الغرب، حيث يصبح المسار موحدا للجميع.
12-تعتبر هذه الفترة من تاريخ المسلمين فترة حرجة في جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، حيث ظهرت في هذا القرن الارهاصات الأولى لبداية نهاية ازدهار المسلمين وتفوقهم على الصعيد العالمي، لذلك كثرت البدع والشعوذة والخرافات، التي حاول العلماء الربانيين التصدي لها ومحاربتها بكل حزم وقوة، إلا أن الاحتلال الأوربي فيما بعد شجع مثل هذه الأفعال المنافية للشريعة الاسلامية حتى يسهل عليه تجهيل المجتمعات المسلمة والسيطرة على مقدرات العالم الاسلامي واستغلال خيراته لأطول مدة ممكنة؛ وهذا ما كانت له نتائج وخيمة على البلاد والعباد لعشرات السنين.
13-يقصد به الرسول صل الله عليه وسلم.
14-الفرقد هو النجم الذي يضيء في السماء، ويهتدي به الناس في ظلمات البر والبحر.
15 - العسجد هو الذهب ويطلق على الجواهر مطلقا مثل الياقوت والذهب والماس وغيرهم من المجوهرات.
16الأثيل معناه الكرم والجود الذي لا يخاف صاحبه الفقر والحاجة.
17-هذا الكلام من أبي سالم العياشي يدل على تواضعه وحسن أخلاقه كما هو معروف عند أهل العلم، كيف لا وهو أحد أشهر العلماء المالكية المغاربة الذين زاروا الحجاز خلال القرن السابع عشر، ولو لم يكن عالما بارزا لما قُدِمَ لإلقاء الدروس في الحرم المكي والمدني.
18-كأن المذهب المالكي أصبح يشكو الغربة في وطنه الأصلي حينذاك، وإلا بماذا نفسر انبهار طلبة العلم بالمدينة المنورة من دروس أبي سالم العياشي عند شرحه لمختصر خليل في الفقه المالكي، ولذلك نقول أن الفضل يعود للمغاربة في تجذر وانتشار المذهب المالكي منذ ظهوره إلى يوم الناس هذا، ولولاهم لأصبح المذهب نسيا منسيا.
19-الشمائل المحمدية والخصال المصطفاوية للإمام الترميذي رحمه الله تعالى.
20-المذهب المالكي، المذهب الشافعي، المذهب الحنفي والمذهب الحنبلي، بالإضافة إلى العديد من المذاهب السنية الأخرى غير المشهورة بسبب قلة أتباعها وعدم رسوخها وانتشارها كما هو الحال مع المذاهب الأربعة الأخرى كالمذهب الأوزاعي بالشام، ومذهب الليث بن سعد، ومذهب سفيان الثوري، والمذهب الظاهري...
21-كالمذاهب الشيعية بجميع تفرعاتها، والخوارج الموجودة بكثرة في العراق وفارس والبحرين وسلطنة عمان...
22-النوازل الفقهية هي مسائل وقضايا دينية ودنيوية، تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها، وقد أخذ المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي، يلجؤون إلى الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة يسألونهم عن أحكام هذه النوازل، فكان هؤلاء يلتمسون لها نصا في كتاب الله سبحانه وتعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم يمكن أن تندرج النازلة تحتهما، فإن لم يوجد اجتهدوا في استنباط أحكام تساير القرآن والسنة...، للاستزادة ينظر؛ (حجي، 1999، ص11).
23- ينسب المذهب الحنفي الى صاحبه أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فاريسي النسب ولد عام 80هـ، كان جده من أهل كابل " العاصمة الحالية لأفغانستان " ولد بالكوفة وعاش بها وعمل في التجارة ولقب بالإمام الأعظم لتبحره في العلم والفقه،

حتى قال عن نفسه: (... كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغا يشار إليّ فيه بالأصابع، فجاءتني امرأة يوما وقالت: رجل له امرأة وأراد أن يطلقها للسنة، كيف يطلقها؟ فلم أدري ما أقول، وأمَرْتُها أن تسأل حماد بن أبي سليمان، فلما أعلمها، عادت اليّ، فأخبرتني فقلت لا حاجة لي في الكلام، وجلست إلى حماد أستمع اليه وأحفظ منه ...)، وهذا الكلام يدل على أن أبي حنيفة النعمان أدرك من حلال هذا السؤال أنه لم يصل بعد إلى فهم جميع المسائل الفقهية، لذلك أراد أن يجلس الى أستاذه حماد بن أبي سليمان الذي أخذ عنه مبادئ الفقه والحديث، وقد مال في البداية إلى علم الكلام وبرز فيه، وناظر أهل الفرق الكلامية، فبُهر الناس من سعة علمه و قوة حجته، ثم انصرف الى العلوم الشرعية والتفقه في الدين معرضا عن علم الكلام، وفي ذلك يقول عن نفسه: (... كنت رجلا أعطيت جدا في الكلام، فمضى دهرا كنت فيه أتردد وبه أخاصم وعنه أناضل وكنت قد نازعت الخوارج من الإباضية، والصفرية وغيرهم، وكنت أعد الكلام أفضل العلوم ثم علمت أنه لو كان فيه خيرا لتعاطاه السلف فهجرته...)، وقد سئل عن البعض أخذه الكلام فقال: (... كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله فصرت فقيها من فقهاءهم ...)، وقد دارس ابو حنيفة أئمة الشيعة مثل محمد الباقر، جعفر الصادق وعبد الله بن الحسن بن الحسن وزارهم في ديارهم، و تتلمذ مدة سنين على يد الإمام زيد بن علي، كما عُدَّ الإمام جعفر الصادق من شيوخه وإن كان قريبا من سنه، ولم يُجِزْ أبوحنيفة سَبّ السلف، على عكس غلاة الشيعة الروافض، وقد تأثر بآراء إبراهيم النخعي في تكوينه الفقهي، وذلك بما تلقاه عن شيخه حماد من فقه إبراهيم ورواياته، وقد أخذ من فقه مكة والمدينة، وكان لا يكتفي بما يُسأل عنه، وكان يفتي في مسائل لم تقع بعد ويفترض وقوعها، كان أبو حنيفة النعمان يستنبط أحكامه الفقهية من سبعة أصول هي : القرآن الكريم، السنة لأنها مبينة وشارحة للقرآن، أقوال الصحابة، الإجماع، القياس، الاستحسان والعرف...للاستزادة ينظر؛ (رستم. 2005م ص ص148،146،153،261،292،293)، (المجدوب، 1975م، ص61)، (أبو زهرة، 1952م، ص32، (أبو زهرة، ب. س، ص148).

- **المصادر والمراجع :**

1. القادري، محمد بن الطيب. (1397هـ/1977م). نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، (ج1). تحقيق، محمد حجي. أحمد التوفيق، الرباط. المغرب الأقصى: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
2. القادري، محمد بن الطيب.(1403هـ/1983م). التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والدرر من أحبار وأعيان المئة الحادية والثانية عشر. (ط1). تحقيق، هاشم العلوي القاسمي. بيروت. لبنان: دار الآفاق الجديدة.
3. العياشي أبو سالم، عبد الله بن محمد. (1997م). الرحلة العياشية (1661-1663م). (ج1). تحقيق، سعيد الفاضلي. طرابلس. الجماهيرية العربية الليبية: دار يخية.
4. العياشي أبو سالم، عبد الله بن محمد. (1996م). اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، تحقيق. نفيسة الذهبي، الدار البيضاء. المغرب الأقصى: مطبعة النجاح الجديدة
5. العياشي أبو سالم، عبد الله بن محمد. (1999م). اتحاف الأخلاء بإجازة المشايخ الأجلاء. تحقيق، محمد الزاهي.بيروت. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
6. الحفناوي، أبو القاسم محمد. (1324هـ/1906م). تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: مطبعة بيير فونتانة الشرقية.
7. أغناطيوس، يوليانوفيتش كراتشكوفسكي.(1997م). تاريخ الأدب الجغرافي العربي. تعريب، صلاح الدين عثمان. مراجعة، إيغور بليايف. القاهرة. مصر: منشورات الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية.

8. سعيدوني، ناصر الدين. (1999م). من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. بيروت. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
9. ابن عثمان. (1418هـ/1997م). القدس والخليل في الرحلات المغربية رحلة ابن عثمان نموذجا. تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي. إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
10. حجي، محمد. (1999م). نظرات في النوازل الفقهية، (ط1). الرباط، المغرب الأقصى: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
11. أبو زهرة، محمد. (1952م). مالك حياته وعصره: آراؤه الفقهية. القاهرة، مصر: ملتزم للطبع والنشر. دار الفكر العربي.
12. أبو زهرة، محمد. (د.س). تاريخ المذاهب الإسلامية: في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية. القاهرة. مصر: ملتزم للطبع والنشر، دار الفكر العربي.
13. الأخضر، محمد. (د.س). الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075-1300هـ/ 1664-1894م). الدار البيضاء. المغرب الأقصى: دار الرشاد الحديثة.
14. بوخلوة، حسين. (2008-2009). عبد الكريم الفكون القسنطيني: حياته وآثاره (955-1073هـ/1580-1663م). رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران.
15. المجدوب، عبد العزيز. (1975م). الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية. تقديم علي الشابي. تونس:الدار التونسية للنشر.